مجلة الرائد

العدد : ٢٠٠ الموافق في ربيع الأول ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٧ ميلادي

عنوان المقال : التفجير الذري الباكستاني في حوار مع الأستاذ عصام العطار	الكاتب :أسرة التحرير



أثار التفجير الذري الباكستاني حماسة المسلمين واهتمامهم ، كما كان له صداه في أرجاء مختلفة من العالم

وقد أجرت { الرائد } هذا الحوار مع الأستاذ عصام العطار لتساعد القراء على فهم أكمل وتقويم أفضل لهذا الحدث التاريخي الهام.

الرائد -: هل فاجأك التفجير الذري الباكستاني ؟

الجواب -: كلا لم يفاجئني ؛ فقد كان معروفاً أو مقدّراً أنّه بالإضافة إلى الدول الذرية المعلنة : الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا ، روسيا البيضاء ، أوكرانيا كازخستان التي كانت أجزاء من الاتحاد السوفييتي ، بريطانيا ، فرنسا ، والصين ... يوجد دول أخرى تمتلك السلاح الذري سرّاً دون إعلان : إسرائيل ، جنوب إفريقية ، الهند ، باكستان ، وهذه الدول لم توقع - كما هو معلوم - معاهة الحدّ من انتشار الأسلحة النووية ، بما تستتبعه هذه المعاهدة من التزامات... ويوجد دول أخرى لها برنامجها النووي العسكري السريّ : البرازيل ، الأرجنتين ، كوريا الشمالية ، كوريا الجنوبية ، تايوان ، إيران ، والعراق... ودولٌ يُذكر أنها تريد - ولا أدري كيف يُحكم على النوايا - أن يكون لها سلاح نووي : سورية ، ليبيا ، الجزائر...

الرائد -: إذن لم يكن التفجير النووي الباكستاني أمراً ذا بال ؟!

الجواب -: قلت : لم يكن مفاجئاً ، ولم أقل : ليس ذا بال ، وشتّان بين الأمرين ؛ فالتفجير النووي الباكستاني أمر كبير خطير ذو بال ، له أهميته ودلالاته الكبيرة ، وانعكاساته وآثاره الملموسة والمحتملة

عنوان المقال : التفجير الذري الباكستاني في حوار مع الأستاذ عصام العطار	الكاتب :أسرة التحرير

على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي ، وباكستان جديرة بالتهنئة والإعجاب والتقدير لهذا الإنجاز العظيم ؛ فهي بلاد فقيرة جداً ، وُلدتْ في ظروف صعبة ، وعاشت - وما تزال تعيش - في ظروف صعبة ، وخاضت حروباً ، وتعرّضت - وما تزال تتعرض - لهزّات داخلية وخارجيّة أليمة

والهند قد سبقت باكستان إلى ميدان الذرّة بعشرين عاماً . أنشأت مؤسسة الطاقة الذرية سنة ١٩٥٤ ، وبنت مفاعلها النوويّ الأول عام ١٩٥٥ ، وفجّرت قنبلتها الذرية الأولى سنة ١٩٧٥

أمّا باكستان فقد بدأت سعيها إلى امتلاك السلاح النوي بعد تفجير الهند قنبلتها ، وبسبب هذا التفجير... بدأت سعيها لذلك سنة ١٩٧٥ ، واستطاعت بإيمانها وعزمها وتصميمها وجهدها وتضحيتها أن تتخطّى الفاصل الزمني المديد بينها وبين الهند ، وأن تلحق بها فتكون معها كفرسَيْ رهانٍ أو أسبقَ قليلاً ؛ فما أجرت الهند اختباراتها النووية الخمسة في ١١ و ١٣ من الشهر الماضي... حتى أدهشت باكستان العالم بسرعتها وجرأتها وتمرّدها على الضغوط ، ففجّرتْ قنابل الاختبار الخمسة في ٢٨ من نفس الشهر : شهر أيار/مايو ١٩٩٨م ، ثم أعقبت ذلك بتجربة أخرى.

نعم ، إنه الإيمان والعزم والتصميم والجهد والتضحية السخية المستمرة... أوصلتها - رغم كلّ المصاعب والمتاعب والعقبات والآلام - إلى ما وصلت إليه

لقد كانت تعرف من البداية ثقل التكاليف والتبعات ، وأقدمت وأصرت على المضي إلى الهدف مهما غلا الثمن ، وكلّفها ذلك ممّا يطاق وما لا يطاق

وإنني لأتذكر الآن رئيس وزرائها " ذو الفقار علي بوتو " وهو يقول لشعبه وللعالم قبل نحو ربع قرن :

« إن على باكستان - إذا صنعت الهند قنبلة نوويّة - أن تمتلك هي أيضاً قنبلة نوويّة بأيّ ثمن كان... ولو أكل أبناؤها الحشائش والأعشاب بدل الطعام »

هذا درس ودرس آخر أحبّ أن نفهمه ونمعن التفكير فيه :

إنّ هؤلاء العلماء الأشاوس الذين جاهدوا أكبر الجهاد في معاملهم ومخابرهم وبحوثهم وتطبيقاتهم... قد صنعوا لأمتهم وبلادهم من خلال اختصاصاتهم ما لا تصنعه جيوش مجيّشة

كم أتمنى أن يتعلم شبابنا هذا الضرب من ضروب الجهاد ويقبلوا عليه

مجلة الرائد

العدد : ٢٠٠ الموافق في ربيع الأول ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٧ ميلادي

عنوان المقال : التفجير الذري الباكستاني في حوار مع الأستاذ عصام العطار	الكاتب :أسرة التحرير

كم أتمنى أن يجاهد شبابنا المؤهّلون ليتقدّموا ويتفوّقوا في مختلف الاختصاصات والمجالات ، ويقفزوا ببلادهم قفزة نوعيّة حاسمة ، ويُلبّوا حاجاتها المتجدّدة ؛ بل حاجات الإنسانية كلّها ، على كلّ صعيد.

الرائد -: يتساءل بعض الكتاب السياسيين : هل كان التفجير النووي الباكستاني ضرورياً ؟ أما كان أولى أن تنفق باكستان مالها القليل وجهدها في مجالات حيوية أخرى ؟

الجواب -: لقد كان البرنامج النووي أولاً ، ثم التفجير النووي أخيراً ، ضرورة بقاء وحياة ، فباكستان بجوار الهند مهدَّدة في حقوقها وكرامتها ووجودها . اغتصبت الهند منها كشمير إلاّ قليلاً ، رغم المؤسسات والمقررات الدولية ، وقامت بين الدولتين الجارتين حروب ، وتهديدات بحروب ، ومناوشات لا تكاد تنتهي...

وفجرت الهند قنبلتها الذرية الأولى سنة ١٩٧٤ ، فكان على باكستان أن تبدأ برنامجها النووي وإلاّ فهو الهلاك

والهند بسلاحها التقليدي دون السلاح النووي أكبر من باكستان وأقوى ، فكيف وقد امتلكت هذا السلاح ؟

على سبيل المثال لا الحصر :

مساحة باكستان : ٩٤٣ ٨٠٣ كم^{٢} ، ومساحة الهند: ٥٩٠ ٢٨٧ ٣ كم^{٢}

عدد سكان باكستان[(١)] : ١٤٠,٥ مليون ، وعدد سكان الهند : ٩٤٤,٦ مليون

الناتج الداخلي لباكستان : ٥٩,٩٩ مليار دولار ، والناتج الداخلي للهند : ٣١٩,٧ مليار دولار

والقاعدة الصناعية للهند أوسع وأكثر تنوعاً من القاعدة الصناعية لباكستان

أما على الصعيد العسكري المباشر :

فعدد القوات البحرية في باكستان : ٢٢ ألفاً ، وعددها في الهند : ٥٥ ألفاً

وعدد القوات الجوية في باكستان ٤٥ ألفاً ، وعددها في الهند : ١١٠ آلاف

وعدد القوات البرية في باكستان ٥٢٠ ألفاً ، وعددها في الهند ٩٨٠ ألفاً

ومع ذلك فقد بذلت باكستان جهدها كي لا يدخل السلاح النووي في الصارع ، وكي لا تضطرّ إلى

دخول هذا السباق ؛ ولكنها لم تفلح ، فكان عليها ألاّ تتردد ولا تتخلّف...

عندما أجرت الهند تجاربها النووية الخمسة في الشهر الماضي بنجاح ارتفعت فيها على الفور أصوات تهدّد وتتوعد ، وتدعو باكستان من موقع القوّة والاستعلاء إلى القبول بالأمر الواقع ، والتخلّي عن المطالبة بكشمير ، وإلى التفاوض مع الهند على شروط الهند ، وارتفعت أصوات أخرى تدعو إلى اجتياح ما بقي من كشمير بأيدي باكستان ، وإلى انتزاعه بالقوة المسلحة...

ولكن ما إنْ فجّرت باكستان قنابلها التجريبية الخمسة هي الأخرى ، حتى اضطرب المسؤولون في الهند وتراجعوا ، فانخفض الصوت الذي ارتفع ، واعتدل الحاكم الذي تطرّف ، وخَنَس المتهوّر الذي حَرّض ، وانفسح مجال لنداء الحكمة والعقل مع نداء الطيش والجنون

والمجتمع الدوليّ الذي تناسى أو نسي قضية كشمير ، وحقوق باكستان في كشمير ، ومقرّرات الأمم المتحدة الخاصة بكشمير ، عاد يتذكر ما تناسى أو نسي ، ويشعر بضرورة حلّ هذه القضية ، وبالعواقب الوخيمة لاستمرار الصراع الهنديّ الباكستاني ، على الصعيد الإقليمي والدولي

ونحن من جهتنا نراها فرصة تاريخية ثمينة ، لمحاولة حلّ هذا الصراع الذي استنزف البلدين الفقيرين المتجاورين زهاء نصف قرن ، حلاً سلميّاً عادلاً ، من خلال ما سبق من اتفاقات ، وما اتُّخِذ في الأمم المتحدة من قرارات ، وندعو الدول العربية والإسلامية للإسهام مع غيرها في هذا المسعى الحميد...

يجب علينا جميعاً في العالم الثالث المتخلّف ، أن نتجاوز صراعاتنا المدمّرة ، وأن نجد سبيلنا إلى التعايش والتعاون ، في مواجهة تحديات عالمنا وعصرنا الحقيقية الكبرى ، التي تهددنا جميعاً على كلّ صعيد

يجب أن نحاول ذلك بإخلاص ووعي ، وجدّ وصبر ، وإن كان ما نحاول شيئاً بالغ الصعوبة... شيئاً أشبه بالمستحيل.

الرائد -: هل تعتقد أن باكستان بتفجيراتها النووية الأخيرة قد وضعت نفسها على شاطئ السلامة والأمان للمستقبل ؟

الجواب -: إن ما قامت به باكستان - على أهميته الكبيرة - ما هو إلا خطوة أولية في طريق طويل ، محفوف بالمصاعب والمخاطر ، وهي في نظري ما تزال بعد في بؤرة الخطر ، فهنالك قوى كبرى - ولا أعني هنا الهند التي لا يُستْبعَد تماماً أن تقوم بعمل ما مع إسرائيل - لا تريد لباكستان أن تتابع طريقها ، وتُطوّر سلاحها النووي ، وسلاحها الصاروخي ، وتأخذ - على الزمن - بمختلف أسباب القوة ، وهذه القوى تملك من الوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسية والتآمرية والتخريبية والإعلامية الضخمة... ما يمكّنها - إن أُعطيت لها الفرصة والمبررات - من تحجيم البرنامج الباكستاني النووي ، أو تعطيله ، أو القضاء عليه بهذه الصورة أو تلك ، وبهذه الوسيلة أو غيرها من الوسائل ، ولذلك فإنني أدعو باكستان وأصدقاءها على الصعيد الرسمي والشعبي ، إلى الحرص والحذر ، وتجنب الاندفاعات الحماسية العاطفية المؤذية ، وعدم تجاوز حدود العقل والمصلحة العليا في القول والعمل ، وإلى متابعة المسير بذكاء وأناة ، ووعي عميق شامل ، لمختلف المعطيات والاعتبارات والظروف ، في هذا العالم والعصر

الرائد -: قلتَ : إنما قامت به باكستان من تجاربها النووية الخمسة أو الستة خطوة أوليّة في طريق طويل... ؟!

الجواب -: نعم ، فتطوير السلاح النووي ، وتخزينُه ، وصيانتُه ، وحمايتُه ، وتوفيرُ وسائل إطلاقه واستخدامه... يحتاج إلى الكثير الكثير من العلم والبحث ، والخبرة والتجربة ، والمال والجهد والوقت ، وما التجارب الخمسة أو الستة التي أجرتها باكستان - على أهميّتها البالغة كما قدمت ، وأنّها منعطف ومنطلَق حاسم - إلاّ خطوة أولية من خطوات كثيرة كثيرة لا بدّ منها على الطريق الطويل

لقد أجرت الولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال - من سنة ١٩٤٥ إلى منتصف سنة ١٩٩٤م ١٠٢٩ تجربة نووية على الأرض ، وتحت الأرض ، وفي الفضاء... وما وقفت عن التفجيرات ، والتجارب والاختبارات ، وسعت أو وافقت على حظرها ، إلا بعد أن هيأ لها تقدّمُها العلمي والتكنولوجيّ ، وسائلَ أخرى لتطوير سلاحها النووي ، دون حاجة إلى تفجيرات خارج الكمبيوترات

والمختبرات

وأجرى الاتحاد السوفييتي ٧١٥ تجربة قبل أن يستغني عن ذلك بما ملكه من وسائل وتقنيات

وأجرت فرنسا ١٩٢ تجربة ، ثم عاودت تجاربها المحدودة أوّلَ عهد الرئيس شيراك ، رغم سخط العالم واحتجاجه الشديد ، إلى أن استوفت حاجتها من التجارب ، وصار بإمكانها أن تستغني عنه.

وهذه الدول تملك - كما هو معلوم - من الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية ما ينطلق من الأرض ، ومن الفضاء ، ومن تحت الماء ، ومن الصواريخ العابرة للقارات ما يصل من أقصى الأرض إلى أقصى الأرض ، ومن الطائرات الاستراتيجيّة ما حمل في الماضي ، ويمكن أن يحمل في الحاضر والمستقبل ، أبشع ألوان الموت والدمار ، مما يستوجب أن يقف البشر جميعاً ضدّ هذه الأسلحة الرهيبة ، وضدّ الإمبرياليّات الغاشمة التي تُرهب بها الشعوب ، وتستعبد بها الشعوب.

التجارب النووية الباكستانية إذن خطوة أولية على طريق طويل ، ويجب ألاّ نُخطئ حجمها ودورها ، ولكنها تكفي الآن - على الأرجح - لحماية باكستان من جارتها الكبيرة الهند ، وتنفع في إعادة التوازن بينهما ، وربما ساعدت في تهدئة الصراع ، والسير في طريق السلام.

وباكستان تعتبر عند كثيرين دولة من دول الشرق الأوسط ، وبذلك تكون تفجيراتها النووية فاتحة لإنهاء احتكار الأسلحة النووية في هذه المنطقة بما يستتبعه ذلك من نتائج وآثار.

أما علاقةُ إسرائيل بالهند وتفجيراتها ، والتعاونُ أو التحالفُ الإسرائيلي الهندي ، والإسرائيلي التركي ، وتأثير التفجيرات الأخيرة في ذلك كله ، وفي سياسات المنطقة ومستقبلها ، فأمور هامة جديرة بالبحث والدرس والتفكير.

للحوار صلة

(١) يجب أن ننبه إلى أن الأرقام التي ترد في هذا الحوار تعود إلى إحصاءات سنة ١٩٩٦ وما قبلها ، وهي آخر ما تحت أيدينا من إحصاءات.